وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

المرحلة الثالثة

# محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٣ – ٢٣٣ هـ

المادة: النثر العباسي

تدريسي المادة

م.د. اماني كنعان خضير

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

سيرته :

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ويكنى أبا جعفر، ويُعرف بابن الزيات. كان جده من قرية يقال لها الذكرة القريبة من بغداد . يجلب الزيت من مواضعه ويبيعه في بغداد فغلب هذا التلقيب على بيته .

ولد ابن الزيات في بغداد سنة ١٧٣ للهجرة من أصل عربي . ونشأ فيها ، وكان أبوه من الاغنياء الموسرين في بغداد بجانب الكرخ . حثه على التجارة والتعلق بها وملازمتها. ولكنه رفضها وامتنع عنها وأقبل نحو علوم اللغة العربية وآدابها ينهل من ينا بيعها حتى نبغ في الشعر والنثر على السواء نقل عن ابنه عمر بن محمد بن عبد الملك أنه قال: كان جدي موسراً من تجار الكرخ وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة، ويتشاغل بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الادب وطلبه . ويخالط الكتاب . ويلازم الدواوين، فقال له ذات يوم والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك . وليضرتك ، لأنك تدع عاجل المنفعة، وما أنت فيه مكفي. ولك ولا بيك فيه مال وجاه، وتطلب الأجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلم أينا ينتفع بما هو فيه، أأنا أم أنت ؟ ثم شخص الى الحسن بن سهل يقم الصلح ، فامتدحته بقصيدة. فأعطاه عشرة آلاف درهم. فعاد بها إلى أبيه . فقال له أبوه : لا ألومك بعدها على ما أنت فيه .

ويبدو أن ابن الزيات لم يكن قانعاً بما حصل عليه من مال ، وانما كان طامعا في منصب يتولاه في الدولة. فأقبل على الحسن بن سهل وأنشده :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبة لكن  لتلبني التحجيل والغررا

وليس ذلك الا أنني رجل  لا أطلب الورد حتى أعرف الصدرا

وتحقق له ما أراد . اذ عينه كاتباً بالدواوين. وأخذ نجمه يعلو . واشتهر أمره بين الأدباء والعلماء . فقد ذكر الرواة . أن عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم. كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو. فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان، ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب . يعني محمد بن عبد الملك. فأسألوه واعرفوا جوابه . فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه.

بقي ابن الزيات يشتغل كاتباً في دواوين الدولة زمن الخليفة المأمون، ولما ولي المعتصم الخلافة استوزره وأصبح الرجل الأول في دولته لعلمه وذكائه وقدرته على تسيير أمور الحكم، وحظي بتقدير الناس واحترامهم . ووفد عليه كثير من العلماء والأدباء أمثال أبي تمام والبحتري والجاحظ والحسن بن وهب وحنين بن اسحاق .

ظل ابن الزيات وزيراً في خلافة الواثق، وكانت بينه وبين قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد منافسة انقلبت فيما بعد إلى جفوة وبغضاء وعدواة وشحناء وتهاج بالشعر ، وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد املك الزيات الوزير الا قام له ، فكان ابن أبي دؤاد اذا رأه قام واستقبل القبلة يصلي . فقال ابن الزيات .

صلى الضحى لما استفاد عدواتي وأراه ينك بعدها ويصوم لا تعد من عداوة مسمومة تركتك تقعد تارة وتقوم .

وحينما جاء المتوكل إلى الخلافة كان في نفسه شيء منه : لأن ابن الزيات حاول أن يصرف الخلافة عنه إلى ابن الواثق . وقيل كان يتجهم للمتوكل ويغلظ عليه القول استوزره المتوكل أربعين يوماً . ثم قتله مخدوعاً بأقوال ابن أبي دؤاد وغيره من الحاقدين عليه بحجة أنه جمع أموالا طائلة في أثناء توليه الوزارة .

قضى ابن الزيات تحبه في التنور الذي اتخذه أيام وزارته ، وكان فيه مسامير يُعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، وكان موته سنة ٢٣٣ للهجرة. وقد ندم المتوكل على مقتله. وعلم أن أقوال الوشاة كانت كاذبة وملفقة . وقال لابن أبي دؤاد أطمعتني في باطل. وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً .

أسلوبه في الكتابة :

كان ابن الزيات عالماً أديباً ، ترك ديوان رسائل ، وديوان شعر ، وقد أشاد به ابراهيم بن المدبر الوزير فقال : « أن محمد بن عبد الملك من ألطف الناس ذهناً. وأرقهم طبعاً. وأصدقهم حسناً . وأرشقهم قلماً، وأملحهم اشارة. اذا قال أصاب . واذا كتب أبلغ . واذا شعر أحسن واذا اختصر أغنى عن الاطالة .... ووصف أبو عبادة البحتري بلاغته في الكتابة.

ان من أبرز سمات نثر ابن الزيات الايجار في الالفاظ مع الاتساع في المعاني . وحسن اختيار الكلمات الفصيحة ودقة استخدامها في الجمل والعبارات وكأنها حبات منضدة متسقة، مثل قوله : « ان حق الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم . وتقويم أودهم. ورياضة أخلاقهم، وأن يميز بينهم، فيقدم محسنهم ، ويُؤخر مسيتهم : ليزداد هؤلاء في احسانهم، ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم .

كان ابن الزيات معجباً بالاسلوب الفصيح البليغ . فها هو ذا يطرب لسماع قصيدة ، لما تطويه من معنى. وتحويه من بلاغة. وتعلن عنه من فصاحة ، لأبي تمام في مدحه ، فيقول له : " يا أبا تمام : والله انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يدخر لك من جزيل المكافأة الا يقصر عن شعرك في الموازنة.

ان غزير علمه، وكثرة محفوظاته. ووافر ثروته اللغوية . وسعة اطلاعه على ثقافة عصره، جعلت الألفاظ تنقاد له والمعاني تطاوعه بيسر وسهولة في كل المواقف . فمن جميل ما وصل الينا من نثره قوله : ، الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته منطوي القلب على مناصحته. مشعوذ السيف على عدوه : ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد، وشرد به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً ، وقوله . . أن الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة . والعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة واحياء السنن الصالحة ، فاذا أدى كل الى كل حقة كان سبباً لتمام المعونة واتصال الزيادة، واتساق الكلمة . ودوام الألفة ، وقوله : " أفعال الأمير عندنا معسولة كالأماني ، متصلة كالأيام . ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ونواصل الدعاء له مواصلة بره : أنه الناهض بكلتا . والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا ( ) ...